

اغتيال نزار قباني

**أكتب عنك يا نزار: هجوماً على الذي يدعو لتحرير
المرأة في سبيل جعلها فريسة سهلة لمن يريد.
أكتب عنك يا نزار: هجوماً على الذي يقيد الحرية في
سبيل حريته هو كما يريد.
أكتب عنك يا نزار: هجوماً على الذي يجهض الإبداع
والجواهب باسم التقدم والتطور كما يريد.**



◆ المحامي جمعه عباس بندي

ماجستير في الدراسات الإسلامية

الشاعر (نزار قباني) واحة شعرية جميلة متعددة الألوان والأزهار والروائح الطيبة ، وهو من أشهر شعراء العرب في العصر الحديث ، وله مكانة كبيرة وراقية لدى المثقفين والجماهير وخاصة الذين يهتمون بالشعر ويدرسونه على خلاف مدارسه ومذاهبه الفكرية .
والشيء الذي أوصل هذا الإنسان إلى هذه الدرجة الرفيعة في قلوب وضمائر محبيه وعامة الناس يعود إلى ثلاثة نقاط مهمة هي :

- 1 . لأنه صاحب هدف وقضية وهي تحرير الشعوب والمجتمعات من الطغاة الذين يذبحون الوطن والحرية والقضية ، ويبيعونها لأسيادهم الأعداء .
- 2 . لأنه وقف بشعره مع الإنسان الفقير والمسلوب والإرادة والإنسانية وخاصة المرأة وهذا موقف إيجابي وتقدمي وإحساس عميق بالحياة .
- 3 . لان مفرداته وكلماته البسيطة والشفافة تعبر عن واقع الحياة التي نعيش فيها نحن مجتمعات الشرق الأوسط وخاصة الإسلامية اسما .



استطاع الشاعر نزار قباني من خلال قصائده الشعرية أن يحرر الكلمة من القيود والسلاسل ، ويبرهن للجميع مدى ثورية الكلمة العفوية في التغيير والتطور والتحرير ، وانه من يأتي ويقرأ قصائد وأشعار هذا الشاعر العظيم فانه سوف يجد بين واحته الشعرية الشمولية مساحات واسعة وشاسعة في دفاعه المستمر عن الوطن والمرأة والحرية والعشق والحب ، وكذلك سيجد هجوما عنيفا ولا مباليا على الذين يريدون مصادرة الحرية وسجنها في عالم الوطنيات والمقدسات ، والذين لا يعرفون ولا يجدون خطابا واحدا مع النساء إلا السواطير واحتلال الأجساد النهود .

القباني والحرية :

ولكن للأسف الشديد يا شاعرنا لحد الآن يولد الإنسان في وطنه والعالم مقطوع اللسان ، ومغلول الديدن !!! ولا يتزوج الحرية إلا في داخل المطرقة والسندان .

القباني والمرأة :

(ثوري ! احبك أن ثوري)
ثوري على شرق السبايا والتكايا والبحور
ثوري على التاريخ، انتصري على الوهم الكبير
لا ترهبني أحدا فان الشمس مقبرة النسر
ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير)
تحتل المرأة جزءا كبيرا من حياة وقصائد شاعرنا المتمرد ، بل نستطيع أن نقول ومن خلال كتاباته النظرية والشعرية بانه شاعر المرأة ؛ لان المرأة مقدسة عنده كما للكلمة قدسيتها في السطر.

وكان يطالب المجتمع بكل فئاته وشرائحه بان يسمحوا للمرأة أن تختار ممارساتها وأعمالها وطريقتها بحرية في معترك الحياة وكما تشاء ، وعلى المجتمع أن يساعدها على رفع العقبات والحواجز والمشاكل التي تقع في سبيلها .

للحرية نافذة كبيرة ومفتوحة في فكر وخيال - نزار قباني - بفلسفتها الشمولية والكمالية ، وعندما يتحدث شاعرنا عن الحرية فانه يقصد بها جميع الحريات (حرية الفكر والمعتقد والوطن والكتابة والمرأة والرجل حرية والحرية) .

والحرية عند شاعرنا هي الشيء الذي لا يتجزأ ، حيث انه وصفها باجمل وأروع وصف عندما قال:(الحرية هي كالسما والليل والبحر لا تقبل التقسيم ولا التنازلات ولا المساومة).
ويكفي أن نقول انه بسبب حبه الشديد للحرية ودفاعه غير المنقطع عنها سمى أحد دواوينه الشعرية

(تزوجتك أيتها الحرية)، حيث أن شاعرنا اختار الزواج من الحرية بدلا من الزواج من النساء الجميلات والشقراوات الجذابات ، ويعبر شاعرنا عن هذا الزفاف وهذا الإحساس في إحدى قصائده عندما يقول:

(كان هنالك .. ألف امرأة في تاريخي
إلا أنني لم أتزوج بين نساء العالم
إلا الحرية)

المقاطع من قصيدته الشهيرة (هوامش على دفتر الهزيمة) حينما يقول:

(لم نتصبر يوماً على ذبابة
لكنها تجارة الأوهام
هزيمة ورائها هزيمة
ورائها هزيمة

كيف لنا أن نريح الحرب
إذا كان الذين مثلوا
وصوروا وأخرجوا

تعلموا القتال ولكن في وزارة الإعلام)

هذه الأسباب وغيرها دفعت الشاعر إلى أن يترك وطنه وداره وأصدقائه ويسافر إلى أوروبا ، ويتفرغ هناك للشعر ، ويعلن عن حقيقة المعاناة والإهانات والمآسي التي يعيش فيها أبناء وطنه وأمتة والإنسانية ، ويجعل من قلمه منبراً وقلعة لتعرض كل شيء على كل شيء ، الحروف على الكلمات ، المرأة على الواقع ، البندقية على الرسائل والكتابات ...

وأنه من اطلع على قصائد شاعرنا السياسية فإنه سوف يجد فيها بكل وضوح وتأكيد بأنه أكثرنا نضالاً وشجاعة وشراسة في وجه المخادعين والطاغين ، وفي نفس الوقت هو أكثرنا حزناً واسى وعذاباً ؛ لأنه صاحب الإحساس الرقيق ، والعاطفة الجياشة ، والشعور بالمسؤولية ، والرؤية الثاقبة .

القباني وعملية السلام :

(ما تفيد الهرولة؟

ما تفيد الهرولة ؟

عندما يبقى ضمير الشعب حياً

كفتيل القبلة

لن تساوي كل توقيعات أو سطر

خردلة (!!!)

الشاعر نزار قباني هو من أكثر الأشخاص حبا ودفاعاً ونضالاً من أجل السلام ؛ لأنه يعرف

ويعترف شاعرنا بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لامرأة هي راغبة في سجن نفسها عن الطبيعة والحياة ولا تريد أن تتحرر وتتمرد على واقعها الزائف والفاقد ، وتطلق صرختها بكل شجاعة وقوة .

وينشد شاعرنا إلى حرية المرأة في إحدى قصائده عندما يقول :

(أيتها الخارجة على سلطة التاريخ وشرعية أهل الكهف
أيتها المتملمة من جسدك المقلب وأنوثتك الموجلجة
لا تدمي على الطيران معي في سماء الحرية
فليس هناك عصفور في العالم
ندم يوماً على احتراف الحرية)

وشاعرنا محق في دعوته لحرية المرأة ، ورفع الظلم والاضطهاد والحرمان والقسر عنها ؛ لأنها نواة الحياة والحب والعطاء والجمال ، ونحن نحتاج إلى كل هذه الأركان في هذا العصر الذي طغت عليه القسوة والأنانية والعدوانية ، لذا فإن إحقاق حقوق المرأة تعني تزيين لوحة الحياة بالاطمئنان والأمان .

القباني والسياسة :

(سوف أبقى ساحبا سيفي في وجه عصر الانحطاط العربي اقتله أو يقتلني)

الحقوقي نزار قباني هو رجل السياسة والدبلوماسية فضلاً عن كونه رجل الكلمات والأشعار والقصائد ، إذ شغل مناصب سياسية عديدة منها منصب سفير سوريا في بعض الدول العربية والآسيوية ، لكن بعد الهزيمة العربية في حزيران 1967 أمام إسرائيل ترك العمل السياسي لأنه رأى بان معظم القيادات العربية لا تمثل الطموح والصمود والإرادة والتضحيات التي تفرزها وتعتبر عنها القاعدة الشعبية الجماهيرية ، بل أنهم قد انتهجوا سياسة غامضة ومغايرة لدى شعوبهم ، وما اصدقاه عندما يقوم بمكاشفة حقيقة الحروب والانتصارات العربية في إحدى



أكتب عنك يا
نزار : هجوما على
الذي يدعو لتحرير
المرأة في سبيل
جعلها فريسة سهلة
لمن يريد .

تركوا علبة سيردين بأيدينا
تسمى (غزه) ...
عظمة يابسة تدعى (أريحا) ...
فندقا يدعى فلسطين
بلا سقف ولا أعمدة ...
تركوا جسدا دون عظام
ويدا دون أصابع ...)

وما سبق ذكره هو موقف ورؤية ومفهوم
ومبدأ شاعرنا من عملية السلام الذي تقوده
أمريكا بين العرب وإسرائيل ، وما صدقه حديثا .

القباني والإرهاب :

(أنا مع الإرهاب ...
إن كان يستطيع أن يحرر المسيح
والمريم العذراء ...
والمدينة المقدسة ...
من سفراء الموت والحراب !!! ...)

بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين
الشرقي والغربي وخاصة بعد انتهاء حرب الخليج
الثانية غيرت السياسة الدولية معها المصالح
اتجاهاتها وملاحها ومسارها ، وخصوصا بعد
أن اصبح العالم يسير تحت هيمنة ورعاية القطب

ويفهم اكثر منا جميعا ماذا يعني السلام ، وما
يجلبه السلام للشعوب والإنسانية جمعاء - دولا
وأفرادا - من الراحة والأمان والاستقرار والتقدم
والرفاهية والازدهار .

أما بالنسبة للسلام الذي تقوده أمريكا بين
أبناء العم العرب وإسرائيل لتسوية الخلافات
المتعلقة بينهما كملف القدس واللاجئين وإعلان
الدولة الفلسطينية المستقلة والمستوطنات
اليهودية...

هذه الخلافات والنزاعات التي مضى عليها
اكثر من نصف قرن من الزمن هي عند شاعرنا
ليست سوى عملية استسلام ، وبيع القدس
والشعب والكبرياء وبالتقسيط إلى زعماء في
الدولة العبرية ، بل وصفها نزار بأنها سلام
الجبنة والميتين ؛ لأنها لا تطابق مع المطالب
والطموحات والجهاد والدماء والتضحيات التي
قدمها الشعب الفلسطيني طوال خمسين عاما من
الكفاح والانتفاضة ، بل إن عملية سلام كهذه لا
تصب إلا في مصلحة التجار والمتطفلين
والمستثمرين والمسؤولين الكبار ، وجميع
الاتفاقيات التي وقعت بين الطرفين سواء كانت في
(أوسلو أو شرم الشيخ أو واشنطن) لا تساوي
عند شاعرنا خردلة لأنها ليست إلا عملية هرولة ،
إذ يصف نتيجة هذه الاتفاقيات في مقطع من
قصيدته الرائعة (ليس هذا العرس عرسي) بأنها:

(بعد هذا الغزل السري في أوسلو

خرجنا عاقرين ...

وهبونا وطننا اصغر من حبة قمح ...

وطننا نبلعه من غير ماء

كحبوب الأسبرين !! ..)

أما بالنسبة للأراضي ومناطق الحكم الذاتي
(غزه وأريحا) التي استردها الفلسطينيون عن
طريق الحوار والدبلوماسية والمفاوضات - عملية
السلام - فهي عند شاعرنا كجسد بلا روح ،
وطون كسراب ، حيث وصف هذه المكاسب في
مقطع من نفس القصيدة بأنها:

إذا تمردنا على أوامر الخليفة

العظيم ...

والخلافة ...

إذا قرأنا كتبنا في الفقه ..

والسياسة ..

إذا ذكرنا ربنا تعالى ..

إذا تلونا (سورة الفتح) ..

وأصغينا إلى خطبة يوم الجمعة

فنحن ضالعون في الإرهاب !!!..)

أما بالنسبة لماذا يقف ويعلم الشاعر نزار قباني بأنه مع الإرهاب مع انه يعرف جيدا ماذا تعني هذه الكلمة من قتل وتخريب وأذى للإنسان والمجتمع والأطفال والنساء والمخلوقات والموجودات كلها ، فانه سوف يجيب ويرد على هذا السؤال في إحدى المقاطع من نفس قصيدته (أنا مع الإرهاب) :

(أنا مع الإرهاب

إن كان يستطيع أن يحرر الشعب ..

من الطغاة .. والظلمة ..

وينقذ الإنسان من وحشية الإنسان ..

*** **

أنا مع الإرهاب ...

إن كان مجلس الشيوخ

في أمريكا ..

هو الذي يقرر الثواب .. والعقاب !!!..)

إذا الإرهاب الذي يفهمه نزار قباني ليس الإرهاب الذي نفهمه نحن (كالعمليات التخريبية، وقتل الأطفال والنساء والمواطنين العزل بمادة TNT) لهذه الأسباب يضم شاعرنا المتمرّد مع الإرهاب التحرري، ويدافع عنه بكلماته .

القباني والموت :

(في كل عشرين سنة ..

يأتي إلينا حاكم بأمره ليحبس

السماء في قارورة ..

الواحد (أمريكا) ، حيث برزت مفاهيم ومبادئ وشعارات في المؤتمرات والمحافل الدولية والعالمية تحت مظلة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، وبدعم وتحريك أمريكي كقضية ترسيخ الديمقراطية في العالم الثالث والدول الدكتاتورية ، وقضية حقوق الإنسان في حرية الفكر والمعتقد ، والمساواة ، وانتهاء عصر سيادة الدول على أراضيها ، ومبدأ التدخل الإنساني لحميات الاقليات القومية والدينية من التطهير والصهر القومي والعرقى ، واصبح كل نظام حاكم أو حزب أو منظمة لا يمشي في هذا الاتجاه ، ولا يؤمن بهذه المفاهيم والمعايير الجديدة التي افرزها النظام العالمي الجديد (الأمركه) بأنه في صدد قائمة المتهمين والمسجلين في الكونجرس الأمريكي بتهم الدكتاتورية وعدم مراعاة حقوق الإنسان والاقليات ومناصرة ودعم الإرهاب .

ولكن ما يهمننا هو الإشارة إلى الموازين التي تتبعها الدول العربية والإسلامية في موضوع الإرهاب ، ومن هم الإرهابيون في تصورهم ومقاييسهم ؟ ولماذا أعلن شاعرنا نزار قباني وبكل جرأة وشجاعة بأنه يقف بصف الإرهاب ؟ .

ومن يأتي ويدرس فكر وكلمات وقصائد شاعرنا فانه سيجد الجواب الكافي والشافى وبكل دقة ووضوح : من هم المتهمون بالإرهاب في عالمنا المتخلف ، ولماذا هم متهمون به . حيث يكشف الشاعر في مقطع من قصيدته التاريخية (أنا مع الإرهاب) أولئك المتهمين بالإرهاب والسبب في ذلك عندما يقول :

(متهمون نحن بالإرهاب

إذا رفعتنا صوتنا

ضد الشعوبيين من قادتنا

وكل من قد غيروا سروجهم

وانتقلوا من وحدويين

إلى سماسرة !! ..

*** **

إذا اقترفنا مهنة الثقافة ..



أكتب عنك يا نزار :
هجوماً على الذي
يقتيد الحرية في
سبيل حريته هو
كما يريد .

تفكير وعقلية حكام العرب بان الشاعر نزار قباني سقط شهيداً بمادة سامة ك (الثالوم) أثناء مرضه الأخير في مستشفيات لندن مكافأة لكشفه حقيقة هؤلاء الحكام وعملية السلام - الاستسلام - للجماهير والشارع العربي والإسلامي .

وقصائده (هوامش على دفتر الهزيمة 1991، السيرة الذاتية لسيف عربي 1991، ليس هذا العرس عرسي 1995، راشيل وأخواتها 1996، أنا مع الإرهاب 1997) خير شاهد على ما نقول وما ذهبنا إليه ، والأيام بيننا عزيزي القارئ الكريم .

وختاماً أقول :

كتبت عنك يا نزار : دفاعاً عن حق الفتاة التي تحب أن تختار حبيبها كما تريد .
كتبت عنك يا نزار : دفاعاً عن العلم الذي يختار ألوان زهرته (احمر، اصفر، اخضر) كما يريد.

كتبت عنك يا نزار : دفاعاً عن نفسي وحقي أنا في أن اختار طريقي في الحياة كما أريد.

ويأخذ الشمس إلى منصة الإعدام)

إن اعظم شيء يصل إليه الإنسان في الحياة هو اكتشاف ومعرفة الواقع والمحيط الذي يعيش فيه وخاصة محيط السياسة والسلطة بنقاطها ومعادلاتها وملاحمها الحقيقية .

وشاعرنا نزار في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات اكتشف بنفسه حقيقة ما يحصل في محيط المنطقة العربية والإسلامية ، وما يلعبه رؤساء وملوك وأمراء هذه الدول من أدوار وأفعال قذرة وبشعة بحق شعوبهم ورعاياهم في الدوائر والمحافل المغلقة ، وكيف يضحكون بعقول الناس والجماهير باسم الوطنيات والوحي والسماء في الدفاع عن التراب الغالي والأراضي المقدسة تضليلاً ونفاقاً حتى يستطبعوا أن يحافظوا على كراسيهم وثوراتهم ونسائهم وجواربهم وغلماهم ونظامهم الدكتاتوري وأنابيب النفط .

والكل يعرف جيداً بان معرفة الأمور والحقائق ومكاشفتها للناس والجماهير وخاصة للمثقفين الشرفاء في هذا العصر لها مضاعفات وتضحيات كبيرة ، بل هي كافية في كثير من الأحيان بان تؤدي هذه المكاشفات إلى أن يفقد الإنسان اعز ما يملك وهي الحياة .

فالمناضل والشاعر نزار قباني قام بفضح ومكاشفة حقيقة الحكام العرب ورؤسائهم ، ودورهم التخريبي والجبان ضد شعوبهم ، وضد الحرية وحقوق الإنسان ، حيث يوضح نزار في قصيدته الثائرة (راشيل وأخواتها) عن سبب عدم خوف وخشية إسرائيل من العرب والجيش العربية وهو أن قادة العرب أنفسهم اصبحوا يهوداً ، وتم تجنيدهم في صفوف الجيش الإسرائيلي - كما بين موسى ديان في مذكراته (أبقى السيف الحكم) - حيث قال شاعرنا :

(ما الذي تخشاه إسرائيل من بعض

العرب ؟

بعدهما صاروا يهوداً ؟؟ ...)

ومن كل ما تقدم يمكن القول ومن خلال